التنظيمات المالية في أسواق المغرب في عصر المرابطين

(٤٤٧-٥٤١هـ/١٠٥٦- ١١٤٧م)

إعداد

غادة ربيع بدير

باحثة ماجستير تخصص تاريخ اسلامي

كلية الآداب جامعة الفيوم

عدد يناير ٢٠١٩

المقدمة

الحمد لله ، الذى علم بالقلم ، علّم الانسان مالم يعلم ، ونحمده سبحانه وتعالى حمدًا يليق بمقامه، ونصلى ونسلم على خاتم الأنبياء ، وإمام المرسلين ، سيدنا محمد وعلى اله وصحبه أجمعين ، وبعد...

يعتبر موضوع البحث (التنظيمات المالية فى أسواق المغرب فى عصر المرابطين ٤٤٧-٥٤١هـ/ ١٠٥٦-١١٤٧م) من الموضوعات الحضارية المهمة التى تبرز الجانب الاقتصادى لدولة المرابطين ، وتعد دراسة التاريخ الاقتصادية للمغرب الاسلامى من الميادين المهمة فى الدراسات التاريخية.

كما أن النظام المالى له دور كبير فى استقرار الأوضاع الاقتصادية للدولة، ويعد العصر المرابطى من العصور المهمة فى المغرب ، وكان لحالة الاستقرار السياسى والاقتصادى التى شهدته دولة المرابطين فى عصر يوسف بن تاشفين وعص ولده علي بن يوسف بن تاشفين ، أثر كبير على التنظيمات المالية للدولة.

١-الضرائب والمكوس على الأسواق:

لا جدال أن للنظام المالى أثر واضح فىإستقرار الأوضاع الاقتصادية بالبلاد وله تأثير على المجتمع المغربى لعلاقته بمستوى معيشة الأفراد وأنشطتهم المتنوعة والواجبات الضريبية التى يلتزمون بها للدولة[١]، وكانت واردات الدولة فى العصر المرابطى وبخاصة فى عهد الأمير يوسف بن تاشفين وبداية حكم الأمير علي بن يوسف تعتمد على الضرائب الشرعية أى ما تجبره الشريعة من الفروض مثل الزكاة والأعشار[٢]، وفى ذلك يقول ابن أبى زرع[٣]:" ولم يجد فى بلد من بلاده أى (يوسف بن تاشفين) ولا عمل من أعماله على طول أيامه رسم مكس ولا معونه ولا خراج فى حاضرة ولا فى بادية إلا ما أمر الله تعالى به وأوجبه حكم الكتاب والسنة من الزكاةوالعشر وجزيات أهل الذمة وأخماس غنائم المشركين.وقد نبعت السياسة الضريبية التىإتبعتها دولة المرابطين من المبادئ التى قامت عليها دعوتهم[٤]، ونادى بها إمامهم عبدالله بن ياسين، فشاع عنهم عند بداية حكمهم إلغاء المكوس وإسقاط المغارم المحدثة ، حيث اكتفوا بالزكاة والأعشار[٥].ويثبت ذلك رواية لصاحب

---

(١) أيمن عبد القادر أحمد عبد السلام:
التجارةالداخليةفىالأندلسفىعصرملوكالطوائفوالمرابطين،رسالةماجستيرغير منشورة – كلية الآداب– جامعة المنوفية،٢٠٠٠م ، ص ٣٥٦.

(٢) أيمن عبد القادر أحمد: المرجع نفسه ، ص٣٥٦.

(٣) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، ، اعتنى به / كارل يوحن تور نبرغ ، دار الطباعة المدرسية ، أوبسالة، (د.ت) ، ج١، ص٩٤.

(٤) جمال أحمد طه: مدينةفاسفىعصربالمرابطينوالموحدين،دارالوفاء،الاسكندرية، ٢٠٠١ م ، ص٢٢١.

(٥)حمدى عبد المنعم محمد حسين: معالم التاريخالسياسوالحضاريللمغربوالأندلسفىعصرالمرابطين، دار المعرفة الجامعية ، القاهرة ، ١٩٩٧م ، ص٣١٧.

الأنيس المطرب يقول[١]: " لم يجر فى عملهم طول أيامهم رسم مكس ولا معونة ولا خراج فى بادية ولا حاضرة، ولا وظيفة من الوظائف المخزنية حاش الزكاة والعشر، فأحبهم الناس إلى أن خرج عليهم مهدى الموحدين عام ٥١٥هـ/١١٢١م فهناك تغير طرأ على هذه السياسة الضريبية بسبب الظروف السياسية التى تعرضت لها دولة المرابطين".

اضطر الأمراء المرابطون نتيجة اتساع نطاق الدولة، وما تحتاج إليه الهياكل الجديدة من نفقات إلى فرض أنواع من المكوس والمغارم متنافية مع الكتاب والسنة، ومع المذهب المالكى[٢]، فقد فرض يوسف بن تاشفين عام ٤٦٤هـ/١٠٧١م فريضة ثقيلة على اليهود، " فأجتمع له منها جملة مال، إستعان بها على ما كان سبيله[٣]".وكانت الضرائب على الأسواق من أهم موارد الدخل فى الدولة وقد عرفت بالمكوس، وهى رسوم تفرض على السلع المباعة ، والدكاكين ،وكراء الحوانيت ولا نعرف مقدارها على وجه الدقة[٤]". كما أشارت بعض النوازل والفتاوى الفقهية إلى المكوس التى كانت تفرض على أهل المغرب، فيذكر الونشريسى[٥] أن هناك بعض الضرائب هى:-

---

(١) جمال أحمد طه: مدينة فاس ، ص٢٢١.

(٢) محمد حسن العيدروس : المغربالعربىفىالعصرالإسلامى،دارالكتابالحديث،القاهرة، ٢٠٠٩ م ، ص٤٥٣.

(٣) محمد حسن العيدروس: المرجع نفسه، ص٤٥٣.

(٤) عبد الحميد حسين حموده: أسواقالقيروانفىعصرالأغالبة، بحث علمى، مجلة معهد الدراسات الإفريقية ، جامعة القاهرة ، ٢٠٠١م ، ص٥٨.

(٥)المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء أفريقية والأندلس والمغرب، أخرجه جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجى ، دار الغرب الاسلامى ، بيروت، ١٩٨١م ،ج٧، ص٥٨ .

أ-ضريبة مغرم السوق:

كانت تجبى هذه الضريبة من التجار والباعة والصناع بالأسواق لتحصين الثغور المغربية، كما يقول الونشريسى[١]:" عن اتفاق من أهل الحل والعقد قديمًا لكون بيت المال عاجزًا قاصرًا عنها..." ويضيف أن تلك المغارم (أى مغارم الأسواق)" يجب حفظها وأن يولى لقبضها وتصريفها فى مواضعها الثقات الأمناء...."

ب-القبالات:

إن نظام القبالة الذى وظف على الأسواق قد كان دقيقًا ومحكمًا كما أنه كان عبئًا ثقيلًا على التجار وقد بدأ منذ عصر علي بن يوسف بن تاشفين فاستغله الموحدون فى مقاومتهم للنظام المرابطى يقول الادريسى[٢]: " وكانت أكثر الصناعات بمراكش متقبلة عليها مال لازم مثل سوق الدخان والصابون والمغازل، وكانت القبالة على كل شئ يباع ، كل شئ على قدره"، وعندما ولى المصامدة ، وصار الأمر إليهم قطعوا القبالات بكل وجه، وأراحوا منها واستحلوا ثقل المتقبلين لها[٣].

ج-مكس الباب:

---

(١) المعيار المعرب ، ج٧، ص٥٩

(٢) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، جزئين ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة، (د.ت) ، ج١ ، ص٢٧٨

(٣) محمد حسن العيدروس: المغرب العربىفى العصر الاسلامى ، ص٤٥٤.

كانت هذه الضريبة تفرض على البضائع أو السلع التى تدخل إلى المدينة، وتتم جبايتها عن طريق نظام القبالة أوالإلتزام[١].

٢-وسائل التعامل المادى:

أ-نشأة السكة الاسلامية وتطورها فى المغرب :-

تؤثر النظم المالية على حركة الأسواق ، سلبًا أو إيجابًا، وفقًا لمقتضيات الظروف الإقتصاديةوالإجتماعيةالتى يمر بها أى مجتمع[٢]. فمن وسائل التعامل المادى السكةحيث عرفها بن خلدون[٣] " هى الختم على الدنانير، المتعامل بها بين الناس، بطابع جديد، تنقش فيه صور،أو كلمات مقلوبة ، ويضرب بها على الدنانير أو الدراهم فتخرج رسوم تلك النقوش عليها ظاهرة، مستقيمة ." ، ولفظ السكة كان اسمًا للطابع ، وهى الحديدة المتخذة لذلك[٤]، وللنقود أهمية كبيرة حيث تعكس النقود مختلف نواحى الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والدينية والأدبية والفنية ، فهى تبين حالة الدولة التى أمرت بسكها إذا ما كانت تتمتع برخاء اقتصادى أو تعانى من تدهور اقتصادى وذلك من خلال نسبة عيار نقودها الذهبية، فارتفاع وزن النقود الذهبية ونقاء عيارها، دليل على الازدهار فى الفترة التى ضربت فيها، وبينما

---

(١) كمال السيد أبو مصطفى:جوانبمنالحياةالاجتماعيةوالاقتصاديةوالدينيةوالعلميةفىالمغربالإسلامى(منخلالنوازلوفتاوىالمعيارالمعربللونشريسى)،مركزالاسكندريةللكتاب،الاسكندرية، ١٩٩٦م ، ص٨٣.

(٢) عبد الحميد حسين حمودة: أسواق القيروان ، ص٥٩.

(٣)الأب أنستاسالكرملى: النقود العربية وعلم النميات، المطبعة العصرية، القاهرة ، ١٩٣٩م، ص١٠٣.

(٤)الأب: أنستاسالكرملى : المرجع نفسه ، ص١٠٣.

انخفاض الوزن وتدهور العيار، دليل على التدهور الاقتصادىفى الفترة التى ضربت فيها[١]. ومن خلال أسماء المدن الواردة على النقود نتعرف على حدود الدولة وتوسعاتها، كما تمدنا النقود بتاريخ ضربها الذى من خلاله نستطيع التعرف على العهد الذى ضربت فيه[٢]، لذلك أهتم حكام المسلمين بضرب النقود من دراهم ودنانير فى وقت مبكر من تاريخ الدولة الاسلامية ، وذلك لدور النقود فى تسهيل المعاملات التجارية وما تتسم به من تعبير عن طبيعة الدولة وشخصيتها[٣]. وترتبط السكة أو العملة الإسلامية فى المغرب بصلة وطيدة بالعملة الإسلامية فى الشرق منذ ظهور الإسلام .

أما بالنسبة للنقود الخاصة بالمغرب وعلى الأخص فى الفترة ما بين دخول عمرو بن العاص وفتوحه فى برقة طرابلس إلى عهد موسى بن نصير، وفى غضون تلك الفترة لم تكن أقدام الفتح العربى قد رسخت فى المغرب بعد[٤].وقد ترك الخلفاء لوالى أفريقية حرية التصرف فى إصدار السكة على الطراز المحلى حتى أصبحت نقود

---

(١) أحمد تونى رستم تونى: النقود الفضية الإيرانية فى العصرين العباسى الأول والثانى (١٣٢-٣٣٤هـ / ٧٤٩-٩٤٦م) ، رسالة دكتوارة غير منشورة – كلية الآثار – جامعة القاهرة، ٢٠٠٢م، ص٣.

(٢) محمد فوزى عبد اللطيف: دراسة لمجموعة السكة العربية الإسلامية المكتشفة بالجبل الغربى بليبيا، رسالة ماجستير غير منشورة – كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ٢٠٠٠م، ص٧.

(٣) إبراهيم فرغلى محمد عبد الحليم : التاريخ السياسوالحضارى لمدينة تونس منذ إنشائها حتى سقوط دولة الأغالبة، رسالة دكتوارة غير منشورة – كلية دار العلوم – جامعة القاهرة ، ٢٠٠٣م، ص٢٦٤.

(٤) عبد الحميد حسين حمودة: تاريخ المغرب فى العصر الاسلامى (منذ الفتح الاسلامى وحتى قيام الدولة الفاضمية) ، الطبعة الاولى ، الدار الثقافية للنشر ، القاهرة ، ٢٠٠٧م ، ص٢٥٠.

المغرب العربى لها شخصية مستقلة عن نقود الشرق فى عصر الانتقال[١].أما بالنسبة للعملة المتداولة فى الأسواق عهد المرابطين كانت مزدهرة وذلك لقوة اقتصاد دولةالمرابطين خاصة فى عهد علي بن يوسف حيث احتفظت السكة المرابطية بقيمة مرتفعة وكسبت إحترام دول العالمين الإسلامىوالأوربى حتى كاد النقد المرابطى أن يصبح نقدًا دوليًا[٢]. كما تدل الكثير من النصوص اللاتينية على أن الأوروبين كانوا يتعاملون فيما بينهم بالعملة المرابطيةالتى كانوا يحصلون عليها من الدولة المرابطية نتيجة لتعاملهم التجارى معها[٣]، ومن الأمثلة الدالة على تعامل الأوروبيين بينهم بالعملة المرابطية أن بعض الرهبان فرض على زملائه الذين تصرفوا فى ممتلكات الطائفة دون حق غرامة قدرها عشرون مرابطية[٤].وقد عرفت العملة المرابطيةفى سائر الحوليات القشتالية القديمة باسم " المرابطى" (El mararadi) نسبة إلى دولة المرابطين التى حكمت المغرب فى القرن السادس الهجرى/الحادى العشر الميلادى، فيما بين عام ٤٦٢هـ = ١٠٧٠م وعام ٥٤١= ١١٤٧م ، كل الموسوعات تتحدث عن هذا " المرابطى" على أنه العملة القوية التى تحكمت فى أسواق العالم لفترة

---

(١) عبد الحميد حسين حمودة: المرجع نفسه، ص٢٥٠.

(٢) إبراهيم حركات : النشاط الاقتصاديالاسلامىفى العصر الوسيط ، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء،١٩٩٦م ، ص٢٣١.

(٣) سلوى محمد سلمان الهرفى:
الأحوالالسياسيةوأهممظاهرالتطورالحضاريلدولةالمرابطين،رسالةماجستيرغيرمنشورة – كليةالشريعةوالدراساتالاسلامية – جامعةأمالقرى، ١٩٨٢م، ص٣٢٣.

(٤) سلوى محمد سلمان الهرفى: المرجع نفسه ، ص٣٢٣ .

طويلة من الزمن، فكانت بمثابة " العملة الموحدة" فى سائر الجهات المشهورة آنذاك[١].

ب-الدينار:

الدينار هو كلمة أعجمية عربت من الكلمة اليونانية DinariusAurius ومعناها الذهب الخالص ، وأول من نقش كلمة دينار بحروف كوفيه على النقود الذهبية هو الخليفة عبد الملك بن مروان سنه ٧٥هـ /٦٩٤م[٢] ، وهو قطعة من الذهب تزن وزن المثقال نقش عليها اسم الملك أو السلطان[٣] كما ورد ذكر الدينار فى القرآن الكريمفى قوله تعالى:

"مِنۡأَهۡلِٱلۡكِتَابِمَنإِنتَأۡمَنۡهُبِقِنطَارٖيُؤَدِّهِۦٓإِلَيۡكَوَمِنۡهُممَّنۡإِنتَأۡمَنۡهُبِدِينَارٖلَّايُؤَدِّهِۦٓإِلَيۡكَإِلَّامَادُمۡتَعَلَيۡهِقَآئِمٗا[٤]".أما عن وزن الدنيار فهو بالاتفاق : (٤.٢٥) جرامًا[٥]، وقد ذكر المقريزى[٦] أن

---

(١) عبد الهادىالتازى: التاريخ الدبلومسى للمغرب من أقدم العصور الى اليوم ، الهيئة العامة لمكتبة الاسكندرية، الاسكندرية ، ١٩٨٧ م، مج٥ ، ص٨٣.

(٢) عاطف منصور رمضان : موسوعة النقود فى العالم الاسلامى ، ط١ ، دار القاهرة للطباعة ، القاهرة، ٢٠٠٥م ، ج١، ص٨٩.

(٣) أبى الحسن على بن يوسف الحكيم : الدوحة المشتبكة فى ضوابط دار السكة، تحقيق/ حسن مؤنس ، م٦، مجلة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية ، مدريد ، ١٩٥٨م، ص٤٤.

(٤) سورة آل عمران ، آية (٧٥).

(٥) على جمعة محمد : المكاييل والموازين الشرعية ، ط٢، دار الرسالة ، القاهرة ، ٢٠٠٩م، ص١٩.

(٦)المقريزى : شذور العقود في ذكر النقود ، تحقيق / محمد عبد الستار عثمان، ط١، مطبعة الأمان ، القاهرة ، ١٩٩٠م ، ص١٠٦.

وزن الدينار فى الجاهلية هو نفس وزن الدينار فى الاسلام، كما أشار الكرملى[١] أيضًاإلىوزن الدينار، وقال:" كان لقريش أوزان الجاهلية ، وعندما دخل الاسلام أقرت نفس الأوزان، وهى من الفضة وتسمى درهم ومن الذهب وتسمى دينار وكانت تحدد أوزانها حسب وزن حبات الشعير، وقد اختلف تحديد عدد حبات الشعير، ولكن على الأغلب أن الدينار يزن حوالى اثنين وسبعين حبة شعير ، وكان الدينار يسمى لوزنه دينارًا".كانت العملة الرئيسية للدولة المرابطيةهى الدينارالذهبى الذى كان عماد الاقتصاد للدولة ، وقد ظلت هذه العملة المرابطية الذهبية مستخدمة لعدة قرون حتى بعد سقوط الدولة المرابطية[٢])، حيث ضرب المرابطون لهم دنانير من الذهب الخالص، وكان عليها إقبال كبير فى داخل دولتهم وفى خارجها، كما قلدها بعض ملوك أوربا مع احتفاظها بنفس الاسم " المرابطى"[٣]) ، وهو ألفنسوالثامن فطليطلة حيث ضرب دنانير عرفت باسم ألفنسو المرابط فى عام ٥٦٨هـ/١١٧٣م، وهذا يؤكد ما كانت تتمتع به العملة المرابطيةفى ذلك الوقت من قوة وإزدهار ، كما أنها تدل على مدى قوة الاقتصاد المرابطى[٤] .

---

(١) رسائل فى النقود العربية وعلم النميات ، ص٣٤.

(٢)حمدى عبد المنعم محمد حسين: التاريخ السياسوالحضارى للمغرب والأندلس فى عصر المرابطين ، دار المعرفة الجامعية ، القاهرة ، ١٩٩٧م، ص٣١٩ ؛ على محمد الصلابى : تاريخ دولتى المرابطين والموحدين فى الشمال الأفريقى ، دار المعرفة ، بيروت ، ٢٠١٥م، ص٢٠٣.

(٣) عبد الهادىالتازى: التاريخ الدبلوماسى للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم ، الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية ، ١٩٨٧م،مج٥، ص٨٣.

(٤)حمدى عبد المنعم محمد حسين : مرجع سابق ، ص٣١٩-٣٢٠.

ففى البداية ضرب الدينار الذهبى باسم الأمير أبى بكر بن عمر ، وفى عام ٤٧٣هـ / ١٠٨١م بدل السكة وضرب الدينار باسمه وكان من التبر وجاء على الشكل التالى[١] :-

الوجه	الظهر
لا اله الا الله محمد رسول الله	الإمام عبدالله
ومن يبتغ غير الإسلام دينا	ضرب هذا الدينار بمراكش
فلن يقبل منه وهو فى	سنة ثلاثة وسبعين
وأربعمائة	
الآخرة من الخاسرين	أمير المؤمنين.
أمير المسلمين يوسف بن تاشفين	

كما ضرب الأمير يوسف بن تاشفين عدة طرز من الدنانير منها مايلى:

الوجه	**الظهر**
مركز: لا إله إلا الله	مركز : الامام
محمد رسول الله	عبد
الأمير أبو بكر	الله
بن عمر	أمير المؤمنين[٢]
هامش : ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن.	هامش : بسم الله ضرب ضرب هذا الدينار
يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين	بسجلماسة سنة ثمانين وأربعمائة

(١) سعدون عباس نصر الله : دولة المرابطين فى المغرب والأندلس عهد يوسف بن تاشفين ، ط١،دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨٥م، ص١٧٨.

(٢) نيرة رفيق جلاد: نقود سجلماسةفى العصر الإسلامى، رسالة ماجستير غير منشورة – كلية الآثار – جامعة القاهرة ، م١، ٢٠٠٥م، ص١٣٦.

نلاحظ اتخاذ الأمير يوسف بن تاشفين لقب" أمير المسلمين" وهذا اللقب اتخذه بعد انتصاره على نصارى الأندلس فى موقعة الزلاقة سنة ٤٧٩هـ/١٠٨٦م وهو أول من تلقب بأمير المسلمين فى العصر الاسلامى ، ولم يتخذ لقب" أمير المؤمنين" احترامًاللخليفة العباسى[١]، وكان أمراء المرابطين يطبعون السكة باسمهم، وبعد واقعة الزلاقة جدد يوسف بن تاشفين السكة.قالفى ذلكابن أبى زرع[٢]: " ونقش فى دينار لا إله إلا الله محمد رسول الله، وتحت ذلك أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ، وكتب فى الدائرة ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين ، وكتب فى الصفحة الأخرى الأمير عبد الله العباسى ، وفى الدائرة تاريخ ضربه وموضع السكة".

أما عن دنانير الأمير علي بن يوسف بن تاشفين فقد ظهر عدة طرز منها:

الوجه	**الظهر**
مركز: لا إله إلا الله	مركز : الإمام
محمد رسول الله	عبد الله
الأمير أبو بكر	أمير المؤمنين[٣]
بن عمر	
هامش : ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن.	هامش : بسم الله ضرب هذا الدينار بسجلماسة سنة
يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين	تسع وتسعين وأربعمائة

(١) رأفت محمد محمدالنبراوى : النقود الإسلامية (منذ بداية القرن السادس وحتى نهاية القرن التاسع الهجرى)، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، ٢٠٠٠م ، ص٢٤٦-٢٤٧.

(٢) روض القرطاس ، ص١٧٣.

(٣) رأفت محمد محمدالنبراوى : مرجع سابق ، ص٢٤٩.

نلاحظ أن هذا الدينار ضرب فى حياة الأمير يوسف بن تاشفين وهذا يدل على نوع من التمهيد للمرابطين بأن حاكمهم الجديد هو الأمير علي بن يوسف وقد شهدت دنانير علي بن يوسف بعض التطورات الجديدة وهذا يدل على مدى ازدهار الدولة فى عهده ، كما ظهرت أيضًا دنانير باسم الأمير تاشفين بن علي وغيره من الأمراء المرابطين ، وأصبح الدينار المغربىالمرابطى نقدًا دوليًا، ويتضح من خلال حمل التجار له وانتشاره فى العالم الاسلامى وتمتعت العملة المرابطية بصورة خاصة بثقة كبيرة فى مجال المبادلات الخارجية ، وشاهد الرحالة ناصر خسرو[١] فى مصر والشام استخدام العملة المرابطيةقائلًا: " وقد رأيت مقراضًافى مصر صنع تنيس ، ثمنه خمسة دنانير مغربية".

أما بالنسبة إلى أوزان العملة المرابطية من الدنانير وأرباعها فالجدول الآتى يوضحها[٢]:-

النوع	الوزن	القطر
الدينار	من ٣.٩-٤.٢٠ غم	٢٥ ملم
نصف دينار	٢.١٠ غم	١٥ ملم
ربع دينار	١.١٠ غم	١٥ ملم

ج-الدرهم:

(١) سفرنامة ، ص٨٠.

(٢) حسن حافظى علوى: جوانب من تاريخ المرابطين من خلال النقود ، مجلة المناهل ، الرباط ، ١٩٩٧،ع٥٦، ص٣٢٦.

أما عن نشأة الدرهم فبعد عن عرف الناس إستخدام الدينار بدلًا من نظام المقايضة، احتاج الناس إلى مالًايفى بقيمة الدينار بأقل منه أو أجزائه مما يحقق لهم مصالحهم من شراء حوائجهم فأمرهم ملكهم باختيار معدن آخر دون الذهب تكون قيمة الدينار منه عشرة دراهم ، فاختارو الفضة وضرب منها الدرهم وطبعه بطبائع الملك[١]. وهو وحدة نقدية من مسكوكات الفضة ، معلومة الوزن ، وأصل الدرهم كلمة أعجمية عربت عن اليونانية، وهى كلمة (دراخمًا) ويقابلها: (دراخم)[٢].

وقد استخدم المرابطون العملة الفضية المعروفة بالدرهم الفضى لتسهيل المعاملات[٣]، حيث أنشأ الأمير يوسف بن تاشفين دارًا للسكة فى مراكش عام ٤٦٤هـ /١١٧٢ وضرب فيها دراهم وزن الواحد درهم وربع من عشرين درهمًا للأوقية ، وهوالمعروف بالجوهرى[٤]. وتنص رواية ابن عذارى[٥]"على أن تلك النقود التى ضربت فى مراكش لأول مرة ، كانت دراهم فضة مدورة"، كأن ابن عذارى ، يخشى أن يظن أن الدرهم المرابطى مربع مثل الدرهم الموحدى الذى ابتكره محمد بن تومرت فقيه الموحدين ، الذى اشتهر بأنه صاحب الدرهم المربع الذى ميز النقود المراكشية عن بقية النقود الاسلامية فى تلك الفترة التى تعتبر العصر الذهبفى تاريخ المغرب

---

(١)أبى الحسن الحكيم : الدوحة المشتبكة، ص٤٥.

(٢)على جمعه محمد : مرجع سابق ، ص١٩.

(٣) حمدى عبد المنعم محمد حسين: مرجع سابق، ص٣٢٠

(٤) سعدون عباس نصر الله: :

دولةالمرابطينفىالمغربوالأندلسعهديوسفتاشفين،دارالنهضةالعربية،الطبعة الأولى،بيروت،١٩٨٥م ، ص١٧٨.

(٥) ابن عذارى : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق / إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٨٠م ، ج٤ ، ص٢٢.

العربوحضارته.ولتسهيل المعاملات التجارية قام المرابطون أيضًا بضرب عملات بجانب الدينار والدرهم من فئة النصف درهم وثمنه ١ /١٦ منه، وكانت هذه العملة الأخيرة تسمى خروبة (بالأسبانيةalgorroba)[١].

كما ضرب المرابطون دنانير ودراهم من النحاس لها نفس المميزات التى كانت للدنانير الذهبية والدراهم الفضية ، فالنصوص الكتابية متشابهة فى كليهما خلاف الأوزان فإنها أقل من أوزان الدينار الذهبالمرابطى والدرهم الفضالمرابطى، فالدينار المرابطالنحاسى يزن ٢.٤٤ جم أما الدرهم المرابطالنحاسى فيتراوح وزنه بين ٣.٩٠ و ٤.٦٦ جم وطول قطره بين ٢٣ مم و ٢٢ مم ، ولعل السبب فى ضربهم لهذا النوع من المسكوكات هو كثرة مصاريفهم بسبب الحروب التى خاضوها فى شمال افريقيا والأندلس واحتياجهم للذهب والفضة[٢].أما عن تزييف الدراهم النقية ، كما يفعل المزيفون فى كل عصر، و لما كانت العملة توزن، فلم يكونوا يبردونها بل يصنعون عملة يتوفر لها الوزن الصحيح مستعينين ينتقصونه من الذهب باستعمال الزئبق أو الأنتيمون[٣]، وكانت المعاملات الضخمة تستدعى وسائل للدفع، مأمونة من الضياع ، خفيفة الحمل، بعيدة عن متناول اللصوص[٤].ومن ذلك يتبين لنا أن

---

(١)حمدى عبد المنعم محمد حسين: مرجع سابق ، ص٣٢٠.

(٢) عبد النبى بن محمد : مسكوكات المرابطين والموحدين فى شمال إفريقيا والأندلس، رسالة ماجستير غير منشورة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الملك عبد العزيز ، مكة المكرمة ، ١٩٧٩م ، ص٣٩.

(٣) آدم متنر: الحضارةالاسلاميةفىالقرنالرابعالهجرى أو عصر النهضة فى الإسلام ،ترجمة / محمدعبدالهادىأبو زيد،أعد فهارسة / رفعت البدراوى، الطبعة الخامسة،دارالكتابالعربى،بيروت،(د.ت) ، ص٣٧٨.

(٤)آدم متنر : مرجع سابق ، ص٣٧٩.

اختلاف الوزن وكثرة العملات التى تضرب كان يؤدى ذلك إلى حدوث الغش فى النقود وهذا ما كان يستفيد منه الصرافون[١].

أما بالنسبة إلى أوزان العملة الفضية المرابطية وأجزائها فالجدول الآتى يوضحها[٢]:

النوع	الوزن	القصر
الدرهم	من ٠.٧٢ إلى غم	من ١٠ إلى الملم
نصف الدرهم	٠.٥٠ غم	٧ ملم
ربع الدرهم	١.٠٨ غم	٦ ملم
ثمن الدرهم	٠.٠٧	٦ ملم

د-الفلس:

هى كلمة مشتقة من الكلمة اليونانية follis وهى تعنى السكة النحاسية منذ فجر الاسلام تلك السكة التى استعارها العرب عن البيزنطيين[٣] ، وكلمة فلس الشائع لها فى النقود أنها تعبر عن النقود النحاسية، وأن كلمة فلس تشير إلى أى قطعة من النقود ثقيلة الوزن[٤] ، وتستخدم لشراء الأشياء البسيطة التى يقل ثمنها عن الدرهم،

---

(١)حسن الحافظى علوى : جوانبمنتاريخالمرابطينمنخلالالنقود،منشورات مجلة المناهل ،١٩٩٧م ، ص٣٦٦.

(٢) بان على محمد: مرجع سابق ، ص١١٨.

(٣)المقريزى : شذور العقود ، ص١٦١-١٦٢.

(٤) مروة عادل إبراهيم عبد الجواد: مرجع سابق ، ص٣١.

أو جزء منه[١]، وكان للحاكم حق دربها ونقش اسمه عليها ، ومع انحدار أوضاع السكة الذهبية والفضية، راجت الفلوس فى التعامل التجارى[٢] ، أما عن وزن الفلس فكان يساوى(٠.٠٠٠٠٩٩٣٦ x ٦ = ٠.٠٠٠٥٩٦١٦) جرامًا[٣]، وقيل أنهعملة مضروبة من غير الذهب والفضة وكانت تقدر بسدس الدرهم[٤]. ووزن الفلس عند الحنفية يساوى : (٣.١٢٥ ÷ ٦ = ٠.٤٩٦) جرامًا[٥].

أما عن طريقة استخدامهم الفلوس أنه إذا باع التاجر قطعة قماش بدرهمين ونصف وليس لدى المشترى نصف درهم ولكن معه فلوس نحاس بدلاً منها، وهى فلوس مختلفة الحجم والوزن ، ولكن نسبة هذه الفلوس مقدره بالخراريب معروفة آنذاك بالنسبة للدرهم، فإن التاجر فى هذه الحالة يزن العدد المطلوب من الفلوسبدلًا من النصف درهم[٦].أما بالنسبة للدولةالمرابطية فقد استخدمت الفلس وهذا كان فى أيامها الأخيرة ولعل هذا ناتج مما كانت تعانيه الدولة المرابطيةفى أيامها الأخيرة من مشاكل داخلية ، من ثورات قام بها الأندلسيون، وأخرى قام بها المصامدة بقيادة المهدى بن تورمرت، إضافة لغزوات الأسبان النصارى المتكررة للأندلس الاسلامى الأمر الذى ترتب عليه انعدام الأمن ، كل هذا كان له أثارهالسيئة على حركة

---

(١)المقريزى : إغاثة الأمة بكشف الغمة، نشر/ محمد مصطفى زيادة وآخرون ، مطبعة لجنة التأليف، القاهرة ، ١٩٤٠م، ص٦٦.

(٢)المقريزى: شذور العقود ، ص١٦٢.

(٣) على جمعه محمد: المكاييل والموازين الشرعية ، ص٢٨.

(٤) المعجم الوسيط : مادة (فلس) ، ص٧٠٠

(٥) على جمعه محمد: مرجع سابق ، ص٢٨.

(6) lan – poole, stangley , catalogue of Arabic glass weights in the British museum, London , p50.

التجارة[١]. وهذا كله دفع بعض الأفراد إلى استغلال هذه الفرصة فأخذوا يتلاعبون بالعملة عن طريق غشها بالنحاس، وتشير بعض المراجع إلى أن الدولة نفسها عندما قل احتياطيها من الذهب الخالص قامت بسك عملة نحاسية لتسديد نفقات تجهيز الجيوش ودفع مرتبات الجند[٢].

ز- السفاتج (الشيك السياحى):

السفاتج مفردها سفتجة، وهى كلمة فارسية معناها ورقة مالية أو خطاب ضمان[٣] ، وأيضًاهى محررات يكتبها التجار، أو الصيارفة، أو المشتغلون بالأعمال المالية والتجارية بقيمة المبالغ التى يأخذونها ، وتكون قابلة للصرف فىأى بلد لأحد عملائهم، وكانوا فى هذا يقومون بدور البنوك فى الوقت الحالى، وكانت كل سفتجة توقع أو تختم من صاحبها لصرّاف ، وتاجر حتى تكون صالحة للتداول ، ومن المؤكد أن تجار المغرب عرفوا السفاتج كنوع من التعامل فيما بينهم داخل بلادهم ، وفى تعاملهم الخارجى حيث إنها أكثر أمانًا من حمل النقود خشية تعرضهم للسرقة ، من قطاع الطرق، وغيرهم فى رحلاتهم الخارجية[٤].

هـ-الصكوك : (الشيك):

---

(١) سلوى محمد سلمان الهرفى: مرجع سابق ، ص٣٢٥.

(٢) سلوى محمد سلمان الهرفى : مرجع سابق، ص٣٢٥.

(٣) سيدة كاشف : دراسات فى النقود الإسلامية ، مقال بمجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، م١٢، ١٩٦٥م ، ص١٠٥-١٠٧..

(٤)الفيومى: المصباح المنير فى غريب الشرح المنير ، مكتبة لبنان ، بيروت، ١٩٨٧م ، ص٣٨٧.

الصك هو الأصل الحالى لكلمة شيك وهو فى الأصل سند الدين[١]، كما أنه كلمة فارسية معربة يقصد بها الكتاب الذى يسجل عليه أرزاق الناس وأعطياتهم بمستحقاتهم المالية لتحصيلها[٢]، وقد جرت العادة أن يوقع على الصك شاهدان ثم يختم أسفله وعرف أهل المغرب الصكوك[٣] ، حيث إستخدم التجار الصكوك، كنوع من التعامل التجارى فيما بينهم ، وكذلك فى علاقاتهم التجارية الخارجية، وخاصة إذا كانت المعاملات المالية ضخمة ، وتتطلب وسائل للدفع مأمونة من الضياع خفيفة الحمل، وبعيدة عن متناول اللصوص، وقطاع الطرق لطول المسافة وبعد الطريق[٤]،واستعملها المرابطون فى التجارة.وقد كان استعمال الصكوك كان متبعًا فى القرنين(الرابع والخامس الهجريين / العاشر والحادى عشر الميلادى) ، فكان الشخص يرسل الصك إلى التاجر واسم السلعة التى يرغب فى شرائها وثمنها ، وتحمل الوثيقة توقيعه ، فيرسل له التاجر ما يريد ، ويحتفظ بهذه الصكوك ثم يسلمها ويأخذ منه ثمن ما أخذ منه[٥].

و-الصيرفة:

الصيرفة من المهن المالية المرتبطة بالأسواق[٦]، وقد وجدت فى أسواق المغرب لتسهيل الأعمال التجارية كتبديل العملة وصرف الدينار إلى دراهم، فضلًا عن سحب

---

(١)عفيفى محمود : الحضارةالاسلاميةفىبلادالمغرب، ص١٧٦.

(٢)ابن منظور : لسان العرب ، مادة " الصك" ،مج١٠، ص٣٤٠.

(٣)المالكى : رياض النفوس ، ج١، ص١٩٤.

(٤) وليد على محمد السيد الطنطاوى : مرجع سابق ، ص٣٤٦-٣٤٧.

(٥) حسن خضرى أحمد : علاقاتالفاطميينفىمصربدولالمغرب،ص١٣٨.

(٦) عبد الحميد حسين حمودة: أسواق القيروان ، ص٦٨.

العملات الرديئة من التعامل ووضع عملات جديدة بدلًا منها وحفظ أموال الناس كما كانت تودع عند الأمناء والتجار[١].

الخاتمة

١- لقد قام الأمراء المرابطون باعادة الأمن والاستقرار للمغرب الإسلامى.

٢- كما أنهم ألغوا المكوس والضرائب الباهظة التى كانت تفرض على التجار وأبقوا ما ألزمه الكتاب والسنه من زكاة وعشور فنشط التجار وارتادوا الأسواق الداخلية والخارجية دون خوف ماداموا يؤدون الفرائض المستحقة على أموالهم وسلعهم وبذلك انتعشت الحركة التجارية.

٣- كما نجد أن الضرائب على النشاط التجارى كانت على أنواع لكنها تفرض فى حالات خاصة كالأزمات.

٤- تنوعت وسائل التعامل المالفى المغرب عهد المرابطين حيث استخدم الدينار المرابطى وكان ذو قيمة عالية وراج فى جميع أنحاء البلاد كما أنه استخدم فى أوربا.

٥- كما أن المرابطين استخدموا الدرهم والفلس والسفاتج والصكوك وغيرها، فى معاملاتهم التجارية.

قائمة المصادر والمراجع

أولًا:المصادر :

(١)المالكى: رياض النفوس، ج١، ص٢٤٣.

١-ابن الرفعة: **(ابن الرفعة نجم الدين الأنصارى أبو العباس ت٧١٠هـ /١٣١٠م)**
الإيضاح والتبيان في معرفة المكيال والميزان، تحقيق / محمد أحمد إسماعيل الخاروف ، مركز البحث العلمى وإحياء التراث الاسلامى ، مكة، ١٩٨٠م.

٢-الإدريسى: **(أبو عبدالله محمد بن بن محمد بن عبد العزيز ت ٥٦٤هـ /١١٦٨م)** نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة، د.ت، جزئين.

٣-البلاذرى : **(أبو الحسن أحمد بن يحيى البغدادى ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢ م)**
فتوح البلدان ، تحقيق/ صلاح الدين المنجد ، النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٨٧م، ثلاثة أجزاء.

٤-الجزنائى: **(أبى الحسن على الجزنائى ت ٧٥٠هـ/١٣٤٩م)**
جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس، اعتنى به / الفريد بيل، مطبعة بوسيد، الجزائر ، ١٩٢٢م.

٥-ابن أبى زرع : **(أبو الحسن على بن عبد الله ت ٧٢٦هـ /١٣٢٥م)**
الأنيس المطرب روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، اعتنى به / كارل يوحن تور نبرغ ، دار الطباعة المدرسية ، أوبسالة، د.ت، الجزء الأول.

٦-ابن سلام: **(أبى عبيد القاسم ت ٢٢٤هـ /٨٣٨م)**
كتاب الأموال ، تحقيق/ أبو أنس سيد بن رجب ، تقديم / أبو اسحاق الحوينى ، دار الهدى النبوى ، القاهرة ،٢٠٠٧م.

٧-ابن عبد الرؤوف: **(أحمد بن عبدالله القرن الثانى عشر الهجرى/ الثامن عشر الميلادى)**

في آداب الحسبة والمحتسب ، تحقيق / ليفبروفنسال ، المعهد الفرنسى للآثار الشرقية ، القاهرة ، ١٩٩٥م.

٨-ابن عذارى: **(أبو العباس أحمد المراكشى كان حيًا ٧١٢هـ /١٣١٤م)**
البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق / إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٨٠م، الجزء الرابع.

٩-الفيومى: **(أحمد بن محمد بن على المقرى ت ٧٧٠هـ/١٣٦٨مـ)**
المصباحالمنير فى غريب الشرح الكبير للرافعى، تحقيق/ عبد العظيم الشناوى ،دار المعارف ، القاهرة،١٩٧٧م.

١٠-المالكى: **(أبو بكر عبد الله بن أبى عبد الله توفى في حوالى منتصف القرن الخامس الهجرى/ الحادى عشر الميلادى)**
رياض النفوس في طبقات علماء القيروان أفريقية ، الجزء الثانى، تحقيق / بشير البكوش ، الطبعة الثانية ، دار الغرب الاسلامى ، بيروت ، ١٩٩٤م.

١١-المقريزى : **(تقى الدين أبو العباس أحمد بن عبيد ٨٤٥هـ / ١٤٤١م)**
شذور العقود في ذكر النقود ، تحقيق / محمد عبد الستار عثمان، الطبعة الأولى ، مطبعة الأمان ، القاهرة ، ١٩٩٠م.

١٢-.....: إغاثة الأمة بكشف الغمة، تحقيق / حلمى فرحات ، الطبعة الأولى ، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية ، القاهرة ، ٢٠٠٧م.

١٣-ابن خرداذبة: **(أبى القاسم عبيد الله بن عبد الله بن خرداذبة**

ت ٢٨٠هـ/٨٩٣م)

المسالك والمماليك، مطبعة بريل ، ليدن ، ١٨٨٩م.

١٤-ابن منظور: (جمال الدين محمد بن مكرم الأفريقىالمصرى ت ٧١١هـ/ ١٣٣١م)

لسان العرب، دار المعارف، القاهرة ، ١٩٨٠م، المجلد العاشر.

١٥-ناصرخسرو: (علوى فارسى ت ٤٧٦هـ/ ١٠٨٣م)

سفرنامة،ترجمة /

يحيىالخشاب،الهيئةالمصريةالعامةللكتاب،١٩٩٣م.

١٦-الوزان: (حسن بن محمد الوزان الفاسى ت ٩٦١هـ/١٥٥٤م)

وصف أفريقيا ، ترجمة / عبد الرحمن حميدة، مراجعة / على بعد الواحد ، الطبعة الثانية، مكتبة الأسرة ، القاهرة، ٢٠٠٥م، الجزء الأول.

١٧-الونشريسى: (أحمد بن يحيى ت ٩١٤هـ / ١٥٠٨م)

المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء أفريقية والأندلس والمغرب، أخرجه جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجى ، دار الغرب الاسلامى ، بيروت، ١٩٨١م، الجزء الخامس.